المحاضرة الرابعة: إجراء الوصف

أولا: مفهوم الوصف:

"الوصف هو أن يستخدم الإنسان اللغة ليعبر عن آرائه وملاحظاته واصفا: (شخصا، مكانا، زمانا)"[1].

وهو تشخيص الحالات والمحسوسات بواسطة اللغة، ويتعرض الوصف للأشخاص والجمادات والحالات النفسية بعرضها وتصويرها عن طريق الكلمات ويتم ذلك بكيفيات عديدة نذكر منها:

-وصف أشياء نعاينها أو أشياء نتذكّرها .

-جميع الحواس تتم إثارتها بواسطة الأشياء، فتنقل إلى عقولنا أحاسيس كثيرة ومتزامنة في الغالب، ويتطلب ذلك تعلم كيفية تمييزها وتعيينها: الأشكال، الألوان، الحركات، الأصوات الروائح، الأذواق...إلخ.

-إلى جانب أحاسيسنا الخاصة، تضاف الأحاسيس العامة تجاه الشيء الموصوف، ويتحتم معرفتها لأنها تساعد على اختيار التفاصيل المطلوبة في الوصف أثناء ترجمة الأحاسيس المثارة بواسطة الشيء الموصوف[2]

ويعرّف الوصف أيضا بأنه "أسلوب كتابة وخطاب، له بنية شكلية وطرائق اشتغال داخلي، وله أيضا بنية دلالية متينة الصلة بسياقها السردي، والمقاصد التواصلية للواصف"[3] ولهذا يعد الوصف عملا فنيا وتقنية تواصلية، "فالوصف بصفة عامة شكل من أشكال الخطاب، ينقل صورة العالم الداخلي والخارجي للإنسان بهدف إشراك المتلقي فيما يحس به الواصف ويشعر

---

[1] محمد أولحاج، دليل تقنيات التواصل ومهارات التعبير والإنشاء، ط1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص46.

[2] ينظر :ديداكتيك التعبير تقنيات ومناهج، محمد أولحاج، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، 2001، صص106-107.

[3] محمد نجيب العمامي، في الوصف بين النظرية والنص السردي، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2005، ص174.

به"[1]. ويتحدد البناء النحوي للنص بسيادة أزمنة الماضي وكذلك التحديدات الزمنية والمكانية (قبل بعد أثناء، في المكان المسمى...إلخ) ... ومن الخواص اللغوية المهمة أيضا غلبة أفعال الحدث(يركّب، يطرق، يجمع، يصنع...الخ)"[2].

ثانيا: أنواع الوصف[3]:

سبق أن أشرت في التعريفات السابقة إلى أن للوصف مواضيع عديدة ومجالات شتى، فهو ينقل صورة العالم الداخلي والخارجي للإنسان لذلك فإن الوصف الداخلي يختلف عن الوصف الخارجي موضوعاتيا وإجرائيا، ويمكن تقسيمه إلى[4]:

1-الوصف المجرّد: ويقصد به "وصف الأشياء وصفا محايدا، وتحديد عناصر الأشياء كما هي في الواقع دون زيادة أو نقصان، وتوخي الواقعية في الوصف"[5]. وهو بهذه الصورة نوع من التقرير حيث يورد الباث بعض أجزاء جوهرية من الواقعة.... إنه يجيب -كما يقال- عن الأسئلة حول ماذا وكيف(مجرى الواقعة) ومن الأشخاص الفاعلين) ومتى وأين (زمان الواقعة ومكانها) ...حيث لا يذكر دوافع الفاعلين (لماذا) وربما توابع الواقعة (ما النتيجة) وفيما يلي نورد مثالا لوصف شجار :

حدث شجار عنيف قبل لعب فريق هامبورج س.ف اليوم في بطولة العالم لكرة القدم في بيلباو. فقد أرسل ارنست هابل عند التدريب حارس مرماه أولي شتاين إلى حجرة الملابس قبل انتهائه إثر مشادة كلامية"[6].

---

[1] محمد أولحاج، دليل تقنيات التواصل ومهارات التعبير والإنشاء، ط1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص47.

[2] ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر:سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص86.

[3] ينظر: محمد أولحاج، دليل تقنيات التواصل ومهارات التعبير والإنشاء، ص48 وما بعدها.

[4] ينظر: محمد أولحاج، المرجع نفسه.

[5] محمد أولحاج، دليل تقنيات التواصل ومهارات التعبير والإنشاء، ص48.

[6] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر:سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص83.

2-الوصف النفسي: "ويتميز بالخلط بين وصف الأشياء والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر تجاهها، من ميل أو إعجاب أو استهجان، ويعتمد هذا النوع من الوصف على الخيال والنقد والمقارنة، ويتناول كذلك النواحي المعنوية كالفضائل النفسية والعواطف النبيلة والآلام المبرحة وما يدور في النفس من شك ويقين".

3-الوصف الإجمالي: يرتكز هذا النوع على المظاهر العامة للشيء الموصوف دون الدخول في التفاصيل، ويكتفي برصد المعالم الدالة على الشيء الموصوف دون جزئياتها.

4-الوصف السكوني: تقديم المظاهر الموصوفة بواسطة شخصية تكشف في نفس الآن الأشياء الموصوفة وتتحدث عنها.

5-الوصف التصنيفي: يحاول تجسيد الشيء الموصوف بكل حذافيره، بعيدا عن المتلقي وإحساسه بهذا الشيء.

6-الوصف التعبيري: يتناول وقع الشيء والإحساس الذي يثيرهفي نفس الذي يتلقاه، ويلجأ هذا النوع من الوصف إلى تقنيات الإيحاء والتلميح في عملية الوصف.

ثالثا: تقنيات وصف الأشياء والأمكنة[1]:

يتعين على الواصف مراعاة عدد من التقنيات الواجب احترامها عند وصف الأشياء ومنها:

1-تعيين وتمييز إضاءة الأشياء وألوانها: فالأضواء التي تنير الأشياء والأمكنة يمكنها أن تكون ساطعة (ناصعة)، أو خافتة (ضوء غامض، داكن، قاتم...) وتتشكل مع الظل بطرائق متنوعة، فتعطينا في الوصف صورا معينة للأنوار والظلال: (تدرج الضوء في رسم أو صورة). وتوف الألوان كذلك بمختلف درجاتها، ولتعيينها نتوفر على عدة إمكانيات منها:

-أسماء ألوان طيف الشمس: (مجموعة الأشعة الملونة الناتجة عن تحليل ضوء الشمس).

-الأسماء التقنية للألوان، المخترعة من طرف الرسامين.

-المقارنات: بواسطة تعابير أصبحت متداولة في الوصف، مثل: زرقة السماء، حمرة الدم)

-تسجيل كثافة الألوان بواسطة تعابير خاصة مثل: (أجلى من الشمس، لون فاتح، أصهب، مائل إلى الزرقة، ضارب إلى البنفسجي...الخ)

---

[1] ينظر: محمد أولحاج، ديداكتيك التعبير تقنيات ومناهج، ص109 وما بعدها.

2-تعيين وتمييز حركة الأشياء وأصواتها:

ليست الكائنات البشرية والحيوانية هي وحدها التي تتحرك، فحينما نصف مثلا: البحر والأشجارأثناء هبوب الرياح، أو نصف دراجة أو طائرة، نهتم كذلك بحركاتها، والأفعال التي تحدد بدقة طبيعة الحركة واتجاهاتها: (فوق، تحت، دائرية...) .

ومعظم المعلومات التي نكتسبها عن الأشياء تأتينا بواسطة الرؤية/النظر. ولكن لنتصور أننا في نفق مظلم أو في قعر بئر أو غرفة مظلمة، ففي هذه الحالة نأخذ فكرة عن الأشياء المحيطة بنا بواسطة الحواس الأخرى غير النظر: (السمع، اللمس، الشم) ولهذا نعمد في الوصف إلى رصد الأصوات وتحديد مصدرها ونوعها، ولمس الأشياء لمعرفة أشكالها.

رابعا: تقنيات وصف الكائنات الحية:[1]

1-وصف الإنسان: يتطلب وصف إنسان توظيف كل مصادر المعرفة المتوفرة لرصده في مظاهره العامة وفي خصوصياته الذاتية بكل أجزائها وجزئياتها، وحركاته وعاداته في الحياة 'المسكن، الأكل، اللباس)، ومختلف اهتماماته المتنوعة، لكن المسألة لا تقف عند هذا الحد فللإنسان جوانب أخرى غنيّة: الفكر، الشعور، الحياة الدينية والاجتماعية...، على أن هناك مبادئ أساسية يجب مراعاتها في الوصف، منها: تميز كل شخص بشكله العام وبطبائعه عن أشخاص آخرين .

ولوصف شخص ننطلق من العناصر الأولية التالية:

1.1- مقدمة: نعرّف فيها بهويته وبصفته العامة: اسمه، كنيته، سنه، إقامته، خصائص مميزة.

2.1- وصف هيئته الجسدية: مظهرها العام: البحث عن صيغ تميز مظهره العام، صورته من حيث الشكل واللون ومميزات أخرى.

ولتحديد الأوصاف المذكورة يتم التركيز كذلك على ما يتميز به الشخص عن غيره في:

أ-مظهره العام: شيخ، شاب، قوي البنية، ضعيف البنية، جميل، دميم، ضخم، ضامر...

ب -أبعاده الجسدية: الطول، القصر، وقوفه (مستقيم، منحن) حجمه، أطرافه، منكبيه، عنقه.

---

[1] ينظر: محمد أولحاج، ديداكتيك التعبير تقنيات ومناهج، ص111 وما بعدها.

ج–ملامح الوجه: شكله العام، شعره، جبهته، عيناه، أنفه، شفتاه، أسنانه، والتنصيص في ذلك على الشكل واللون.

د –الهيئة والنظرة: تصوير المشاعر التي يثيرها المنظر العام للشخص.

3.1– اللباس:

في غالب الأحيان يضاف إلى الوصف الجسدي بعض التفاصيل الضرورية عن اللباس وذلك حسب الشكل والمادة (لباس عمل، لباس رياضة، لباس صيفي، شتوي...) واللون (ناصع، شاحب، متناسق...) وعدد القطع التي يتشكل منها وحالته (جديد، رث، متسخ...) وتفاصيله الزخرفية (ربطة العنق، منديل، خاتم...)

4.1– السلوك والطبائع: إن طريقة سير شخص ما وملامحه، وطرائق تصرفه، تسمح في الغالب بأخذ نظرة عن ذكائه على الأقل فيما يتعلق بمظاهره الخارجية، ويمكن بملاحظة سريعة القول: إنه هادئ أو عصبي المزاج، متأنق أو متهاون في أمر نفسه، ذكي أو غبي، مجتهد أو كسول.. ولكن الإشارات والتعابير والسلوكات والحركات التي سمحت لنا بتخيل أو افتراض طبائعه يتحتم رصدها بدقة وعناية.

والعلامات التي يمكن أن نميز بها الطبائع هي:

–المعالم الجسدية: المظهر العام، الوجه، الهيئة، الصوت.

–السلوكات: طريقة الأكل، اللعب، العمل، التصرف مع الآخرين.

–الأعمال: الأفعال الخاصة والظاهرة.

2–<u>انتقاء التفاصيل</u>[1]**:** لا يتم في الوصف التأكيد دائما على التفاصيل، وإن كان من المفيد في بعض الحالات الوقوف عند بعض التفاصيل: (في وصف الوجه أو اللباس أو الطبع)، ولكن كثرة التفاصيل تكون في الغالب غير مستحبة، ويتم الاقتصار على بعض التفاصيل المختارة، التي لها دلالة أكثر من غيرها.

[1] ينظر: محمد أولحاج، ديداكتيك التعبير تقنيات ومناهج، مرجع سابق، صص 116–117.

وفي حالة وصف هزلي (كاريكاتوري)، يتم التركيز على مظهر أو اثنين من المظاهر البارزة في الموصوف، وتضخيمها والإشارة إلى مثيلاتها عن طريق صور هزلية ساخرة أو فظيعة، ويمكن إذا تحويل صورة الملامح.

3-التعبير عن المشاعر[1]:

يعبر الإنسان أكثر من الحيوان عن الأحاسيس والانفعالات:اللذة، الألم، الرغبة، التأسف، الخوف، الغضب، الحب، الغيرة... إلخ.

وما يميز هذه الحالات عند الإنسان هو أنها تكون مصحوبة بالوعي: الإنسان يعرف طبيعة الشعور الذي يحس به، ويمكن أن يعرف أسبابه، ويراقب تجلياته، ويتكهن بعواقبه،ويحكم على قيمته.

وعندما نريد تصوير المشاعر الإنسانية، يجب التعرف على كيفية التعبيرعن المشاعر بواسطة ثلاث وسائل: التعبير الجسدي، التحليل الداخلي، الكلام.

[1] محمد أولحاج، ديداكتيك التعبير تقنيات ومناهج، مرجع سابق، ص 117.